



لواء د. سمير فرج



22 ديسمبر 2022

خلال دراستي في كلية كمبرلي الملكية بإنجلترا، ومع نهاية الفصل الدراسي الأول، كان مطلوباً مني اختيار كتاب، لتلخيصه، فاخترت، حينها، كتاباً للسياسي الأمريكي، الشهير، هنري كيسنجر، عنوانه مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية، أو American Foreign Policy، والحقيقة أنني استفدت، شخصياً، كثيراً، من ذلك الكتاب في التعرف على كيفية صياغة الولايات المتحدة سياستها الخارجية.

استعرض هنري كيسنجر، كيفية صنع أمريكا سياستها الخارجية، وفقاً لمستويات الاهتمام، Level of Interest، وأوضح، في ذلك الكتاب، الصادر في سبعينيات القرن الماضي، أن مستوى الاهتمام الأول، للولايات المتحدة، حينئذ، كان أوروبا من ناحية، والعداء مع الاتحاد السوفيتي، في مرحلة الحرب الباردة، من ناحية أخرى.

في حين كان مستوى الاهتمام الثاني هو الشرق الأوسط، الذي كان يُمثل مصدر الطاقة الرئيسي في هذا الوقت، وضرورة استمرار أمريكا في احتواء هذه المنطقة، ومنع الاتحاد السوفيتي من الوصول إليها.

أما الشرق الأقصى، ودوله، كالصين وكوريا واليابان، فاحتل مستوى الاهتمام الثالث، وجاء في مرحلة الاهتمام الرابع للولايات المتحدة الأمريكية، دول أمريكا الجنوبية، باعتبارها قارة الجوار، أما قارة إفريقيا فكانت في مرتبة الاهتمام الخامس، أي الأخيرة.

وبإعادة قراءة فكر هنري كيسنجر، الذي طرحه منذ ما يزيد على أربعين عاماً، نجد أن أمريكا ما زالت تسير، حالياً، على نفس النهج، وإن تبدلت أسبقيات سياستها الخارجية، فاحتل الشرق الأقصى اهتمامها الأول، وتراجعت أوروبا، وروسيا لمستوى الاهتمام الثاني، وتراجع معه الشرق الأوسط، كمصدر الطاقة، وكذلك التهديد النووي الإيراني إلى مستوى الاهتمام الثالث،

واحتفظت دول أمريكا الجنوبية، والقارة الإفريقية بالمركزين، الرابع والخامس على التوالي، في دائرة اهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية.

وبتذليل إفريقيا أولويات الولايات المتحدة الأمريكية، أُتيحت الفرصة، في الفترة السابقة، لباقي قوى العالم لاحتواء الدول الإفريقية، ومحاولة بسط نفوذها على القارة السمراء، وكان أول المتسابقين الصين، التي بدأت بالتوغل في الدول الإفريقية، بإقامة، أو توطيد، علاقاتها الاقتصادية معهم، لمصلحتها، وذلك بفتح أسواق جديدة للمنتجات الصينية، بالإضافة لمنح تلك الدول قروضا كبيرة، لتنفيذ مشروعات البنية الأساسية، سواء لإنشاء السدود، أو محطات الكهرباء، وحتى الطرق والمطارات. ولحققتها في السباق روسيا، التي اعتمدت على التوسع في تسليح الدول الإفريقية، كوسيلة لبسط نفوذها. وحتى تركيا وإيران، فقد لحقا بالركب لفتح أسواق جديدة لبلادها.

وفجأة، انتهت أمريكا لعدم سلامة فكرها الاستراتيجي، بعدم إيلاء إفريقيا الاهتمام المُستحق، خاصة بعدما لاحظت، مؤخرا، تضامن الدول الإفريقية مع روسيا والصين، خلال التصويت، في الأمم المتحدة، فيما يتعلق بالحرب الروسية الأوكرانية. ويبدو أن أمريكا قد قررت تدارك ذلك الخطأ الاستراتيجي، والبدء في تحويل بوصلة سياستها الخارجية نحو إفريقيا، وهو ما تمت ترجمته في الزيارة الإفريقية التي قام بها وزير خارجيتها، أنتوني بلينكن، في أغسطس الماضي، والتي استهلها بزيارة كينيا، لتقديم الدعم اللازم لتحقيق الاستقرار في النواحي الاقتصادية، وأعقبها بزيارة نيجيريا، أكبر مصدر للنفط في إفريقيا، والتي تكافح المتمردين الإسلاميين، فقدم لها مساعدات أمنية واقتصادية. أما المحطة الإفريقية الأخيرة، فكانت السنغال، لتقديم المساعدات الاقتصادية.

وكانت وزارة الخارجية الأمريكية، قد أعلنت أن هدف زيارة بلينكن، إلى الدول الإفريقية، هو التصدي للنفوذ الدبلوماسي الروسي، والصيني في المنطقة، خاصة بعد الجولة التي قام بها وزير الخارجية الروسي، إلى الدول الإفريقية، في شهر يوليو الماضي. لم تكف الولايات المتحدة بتلك الزيارة، بل أعقبها بدعوة الرئيس الأمريكي جو بايدن، لعدد تسعة وأربعين من القادة الأفارقة، لأكبر تجمع دبلوماسي تشهده أمريكا، منذ جائحة كورونا، وأعلن الرئيس

الأمريكي، تعيين جوني كارسون، مبعوثا أمريكا خاصا لقارة إفريقيا، كما قررت الإدارة الأمريكية تقديم تمويل لإفريقيا، قدره 55 مليار دولار، حتى عام 2025، يخصص لدعم الاقتصاد والصحة والأمن، من خلال استثمارات ومبادرات تستهدف إنقاذ حياة المواطن الإفريقي، يتم تنفيذها ببناء نظام صحي للدول الإفريقية لمواجهة الأوبئة، مع تخصيص 500 مليون دولار لإنشاء شبكة طرق، وملايين أخرى من الدولارات للتحويل الرقمي، بالإضافة إلى إقامة منطقة حرة بإفريقيا بقيمة 3,4 تريليون دولار.

وخلال ذلك التجمع، أعلن جو بايدن دعمه انضمام الاتحاد الإفريقي لتجمع دول العشرين، وكذلك دعمه زيادة التمثيل الإفريقي في مجلس الأمن. تعد هذه القمة، هي الثانية في تاريخ الولايات، بعدما انعقدت الأولى في أثناء ولاية الرئيس الأسبق باراك أوباما، وقد شارك في تلك القمة الأخيرة، السيد الرئيس عبدالفتاح السيسي، وعقد على هامشها اجتماعات مهمة مع كبار المسؤولين الأمريكيين، ومنهم وزراء الدفاع والخارجية، تم خلالها عرض رؤية مصر بالنسبة للوجود الأمريكي في أفريقيا، مستقبلا، مع استعراض حجم التحديات التي تواجه القارة السمراء، وتقف حائلا دون تقدمها. كما عقد سيادته عددا من الاجتماعات مع أعضاء الكونجرس الأمريكي، من الحزبين الجمهوري والديمقراطي، لبحث سبل تعزيز العلاقات الثنائية بين البلدين، وتعزيز الشراكة الإفريقية الأمريكية، لتيسير اندماج الدول الإفريقية في الاقتصاد العالمي، للاستفادة مما توفره من فرص لتحقيق نموها الاقتصادي، ونقل التكنولوجيا، ودفع حركة الاستثمار الأجنبي.

ورغم أن قرار الإدارة الأمريكية رفع اهتمامها بالدول الإفريقية من المرتبة الأخيرة، إلى مراتب أكثر تقدما، ينبع من رغبتها السياسية في التصدي إلى التوسع الصيني والروسي بتلك الدول، فإن ذلك القرار من شأنه إحداث حراك اقتصادي، يصب في مصلحة دول القارة الإفريقية، وهو ما نتوقع أن نشهده في المستقبل القريب.

Email: sfaraq.media@outlook.com